بسم الله الرحمن الرحيم

الإنسانُ في ميزانِ الإسْلامِ

الْحَمْدُ للهِ الكَرِيمِ الْمَنَّانِ، رَفَعَ شَأْنَ الإِنْسَانِ، وَأَغْدَقَ عَلَيْهِ فُيُوضَاتِ الإِحْسَانِ، وَنَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، الآمِرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، النَّبِيُّ الإِنْسَانُ، أَكْثَرُ الْخَلْقِ رَحْمَةً، وَأَعْظَمُهُمْ تَحَلِّيًا بِالْخِصَالِ الْحِسَانِ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الْمُسَارِعِينَ إِلَى بُلُوغِ دَرَجَاتِ الرِّضْوَانِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَاتَّقُوا اللهَ عِبَادَ اللهِ؛ فَالتَّقْوَى هِيَ خَيْرُ الزَّادِ، وَالطَّرِيقُ الْمُبَلِّغُ إِلَى مَرْضَاةِ رَبِّ العِبَادِ، ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ (١).

عِبَادَ اللهِ:

لَقَدْ أَقْسَمَ اللهُ جَلَّ جَلالُهُ أَنَّ الإِنْسَانَ ذُو مَقَامٍ عَظِيمٍ، وَمَنْزِلٍ كَرِيمٍ، أَلَمْ يَقُلْ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾(٢). فَأَيُّ تَكْرِيمٍ بَعْدَ هَذَا التَّكْرِيمِ؟ وَأَيُّ مَقَامٍ بَعْدَ هَذَا الْمَقَامِ الْعَظِيمِ؟ وَذَلِكَ الخَلْقُ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ هُوَ الْعَقْلُ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقْلُ! الْعَقْلُ الَّذِي عَلَتْ بِهِ دَرَجَةُ الإِنْسَانِ عَنْ غَيْرِهِ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ؛ فَكَانَتْ بِهِ مَنْزِلَتُهُ عِنْدَ اللهِ فَوْقَ مَنْزِلَةِ الْكَائِنَاتِ، وَبِذَلِكَ الْعَقْلِ استَحَقَّ أَنْ تَكُونَ الْمَخْلُوقَاتُ مُسَخَّرَةً لَهُ، وَالْخَيْرَاتُ مَسُوقَةً إِلَيْهِ، وَمَنْ تَدَبَّرَ الْقُرآنَ عَلِمَ ذَلِكَ عِلْمَ الْيَقِينِ؛ فَوَجَدَ فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ (وَسَخَّرَ لَكُمْ) (وَأَنْزَلَ لَكُمْ) (شَرَعَ لَكُمْ) (وَآتَيْنَاكُمْ)، فَالْكَوْنُ أَيُّهَا الإِنْسَانُ مُسَخَّرٌ لَكَ، وَمَخْلُوقٌ مِنْ أَجْلِكَ، وَأَعْطَاكَ اللهُ عَقْلاً يُمَكِّنُكَ مِنَ التَّفَاعُلِ مَعَ تِلْكَ الْمَخْلُوقَاتِ، وَيُعِينُكَ عَلَى الانتِفَاعِ بِتِلْكَ الْمُسَخَّرَاتِ ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾(٣).

أَيُّهَا النَّاسُ:

(١) سورة البقرة/ ١٩٧.
(٢) سورة التين/ ٤.
(٣) سورة النمل/ ٨٨.

إِنَّ مَقَامَ التَّكْرِيمِ الَّذِي امتَنَّ اللهُ بِهِ عَلَى الإِنْسَانِ مَا خُصَّ بِهِ أَحَدٌ عَنْ أَحَدٍ، بَلْ هُوَ شَامِلٌ لِكُلِّ إِنْسَانٍ، وَاسمَعُوا قَوْلَ رَبِّكُمْ: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[1]. بَلْ إِنَّ اللهَ جَلَّ جَلالُهُ لَمْ يَجْعَلْ لأَحَدٍ سَبِيلاً لِيَتَكَبَّرَ عَلَى غَيْرِهِ، وَكَيْفَ لإِنْسَانٍ يَتَكَبَّرُ عَلَى أَخِيهِ الإِنْسَانِ وَأَصْلُ الْخَلْقِ وَاحِدٌ، وَالأَرْضُ الَّتِي يَعِيشُونَ عَلَيْهَا وَاحِدَةٌ، وَالسَّمَاءُ الَّتِي يَسْتَظِلُّونَ بِهَا وَاحِدَةٌ، وَالْحَالُ الَّتِي يَعِيشُونَ فِيهَا وَاحِدَةٌ، وَالمَآلُ وَاحِدٌ؛ وَلِذَلِكَ كَانَ النِّدَاءُ الرَّبَّانِيُّ الْكَبِيرُ لِلنَّاسِ مِنْ آدَمَ -عَلَيْهِ السَّلامُ- إِلَى آخِرِ إِنْسَانٍ فِي هَذَا الْوُجُودِ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[2]. وَاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُرِيدُ لِعِبَادِهِ التَّآلُفَ؛ فَمَا كَانَ التَّعَارُفُ إِلاَّ لِيَكُونَ التَّآلُفُ، وَالْمَقَامُ الَّذِي يَرْتَفِعُ بِهِ الإِنْسَانُ عِنْدَ اللهِ هُوَ التَّقْوَى، وَذَلِكَ سِرٌّ بَيْنَ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾[3]. وَالسَّبِيلُ إِلَى بُلُوغِ ذَلِكَ الْمَقَامِ الْعَمَلُ الْخَالِصُ، وَإِنَّ مِنْ جَوَامِعِ الْكَلِمِ مَا أُثِرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: ((وَمَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ)).

أَيُّهَا النَّاسُ:

لَقَدْ جَاءَ الإِسْلامُ لِيُحَافِظَ عَلَى الإِنْسَانِ؛ فَكَانَ مِنْ مَقَاصِدِ هَذِهِ الشَّرِيعَةِ الغَرَّاءِ حِفْظُ النَّفْسِ، بَلْ إِنَّ إِحْيَاءَ نَفْسٍ فِي مِيزَانِ الإِسْلامِ إِحْيَاءٌ لِلنَّاسِ جَمِيعًا، وَإِنَّ قَتْلَ نَفْسٍ هُوَ قَتْلٌ لِلنَّاسِ جَمِيعًا؛ فَكَانَ مِمَّا كَتَبَهُ اللهُ عَلَى بَنِي الإِنْسَانِ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ ﴿أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾[4]. بَلْ إِنَّ القُرآنَ الْكَرِيمَ يُرْشِدُ الْبَشَرِيَّةَ إِلَى أَنَّ قَاتِلَ أَخِيهِ كَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ، وَتِلْكَ سَابِقَةٌ لِلْقُرآنِ، وَحِفْظٌ لَيْسَ مِنْ بَعْدِهِ حِفْظٌ لِنَفْسِ الإِنْسَانِ، فَهَلْ تَجِدُ قَولاً كَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى فِي هَذَا الشَّأْنِ ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾[5].

(١) سورة الإسراء/ ٧٠.
(٢) سورة الحجرات/ ١٣.
(٣) سورة النجم/ ٣٢.
(٤) سورة المائدة/ ٣٢.
(٥) سورة النساء/ ٢٩.

عِبَادَ اللهِ:

كَمَا أَنَّ مِنْ مَقَاصِدِ الشَّرِيعَةِ حِفْظَ النَّفْسِ كَانَ مِنْ مَقَاصِدِهَا حِفْظُ الْمَالِ؛ فَلَيْسَ لأَحَدٍ يَدٌ عَلَى مَالِ أَخِيهِ إِلاَّ عَنْ طِيبِ نَفْسٍ مِنْهُ؛ وَلِذَلِكَ كَانَ أَكْلُ الْمَالِ بِالبَاطِلِ مِنَ الْمُحَرَّمَاتِ، وَالاعتِدَاءُ عَلَيْهَا بِأَيِّ صُورَةٍ مِنَ الصُّوَرِ مِنَ الْمَنْهِيَّاتِ، وَمَا أَعْظَمَ خِطَابَ اللهِ لِلْعِبَادِ ﴿ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ﴾[1]. وَمِنْ عَظِيمِ حُقُوقِ الإِنْسَانِ فِي الإِسْلامِ حِفْظُ عِرْضِهِ؛ فَعِرْضُهُ مَصُونٌ، وَحَقُّهُ فِيهِ مَضْمُونٌ، وَأَبَاحَ لَهُ الإِسْلامُ اخْتِيَارَ شَرِيكِ حَيَاتِهِ، وَالذَّكَرُ وَالأُنْثَى فِي ذَلِكَ سَوَاءٌ ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾[2]. وَمِنْ هُنَا جَاءَتْ تَشْرِيعَاتُ الإِسْلامِ مُنْصَبَّةً فِي تَحْقِيقِ تِلْكَ الْمَقَاصِدِ، وَحِفْظِ تِلْكَ الْحُقُوقِ، وَقَدْ أَكَّدَ النَّبِيُّ الْكَرِيمُ عَلَى هَذِهِ الْمَعَانِي فِي الْمَشْهَدِ الْعَظِيمِ الَّذِي اجتَمَعَ فِيهِ حَوْلَهُ أُلُوفٌ مِنَ الْبَشَرِ؛ فَكَانَ مِنْ خِطَابِهِ لِلإِنْسَانِيَّةِ فِي ذَلِكَ الْمَجْمَعِ: ((أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي عَامِكُمْ هَذَا)).

فَاتَّقُوا اللهَ -عِبَادَ اللهِ-، وَكُونُوا خَيْرَ حَافِظٍ لِمَا أَرَادَ اللهُ مِنْكُمْ حِفْظَهُ، تَسْعَدُوا فِي الدُّنْيَا، وَتَفُوزُوا فِي الأُخْرَى.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ البَرُّ الكَرِيمُ.

*** *** ***

الْحَمْدُ للهِ، وَنَشْهَدُ أَنْ لا إِلهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ وَالاهُ.

أَمَّا بَعْدُ، فَاتَّقُوا اللهَ -عِبَادَ اللهِ-، وَاعْلَمُوا أَنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْقِيَمِ الَّتِي رَسَّخَهَا الإِسْلامُ قِيمَةَ الْمُسَاوَاةِ فِي التَّكْرِيمِ بَيْنَ الْمَرْأَةِ وَالرَّجُلِ؛ فَلَيْسَ لِلرَّجُلِ فَضْلٌ عَلَى الْمَرْأَةِ، وَلَيْسَ لِلْمَرْأَةِ فَضْلٌ عَلَى الرَّجُلِ إِلاَّ بِالتَّقْوَى، وَفَتَحَ الإِسْلامُ مَيْدَانَ التَّنَافُسِ فِي الصَّالِحَاتِ وَالمُسَارَعَةِ فِي الْخَيْرَاتِ أَمَامَ الرِّجَالِ

(١)سورة النساء/ ٢٩.
(٢) سورة التين/ ٨.

وَالنِّسَاءِ عَلَى حَدٍّ سَوَاءٍ؛ فَكَانُوا سَوَاسِيَةً فِي استِحْقَاقِ الْفَوْزِ بِالْمَغْفِرَةِ وَالأَجْرِ الْعَظِيمِ؛ فَذَكَرَ الصِّنْفَيْنِ، وَنَوَّهَ بِشَأْنِ الْفَرِيقَيْنِ؛ فَذَكَرَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَتَتَوَالَى بَعْدَ ذَلِكَ الصِّفَاتُ مُشَكِّلَةً أَبْهَى صُورَةٍ لِلْمُسَاوَاةِ، وَمُظْهِرَةً أَرْقَى جَمَالِ التَّكْرِيمِ؛ فَجَاءَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ لِيَقُولَ لِلنَّاسِ: ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾[1].

هذَا وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ الأَمِينِ، فَقَدْ أَمَرَكُم رَبُّكُمْ بِذَلِكَ حِينَ قَالَ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾[2].

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وسَلَّمتَ عَلَى سَيِّدِنا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنا إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وعَنْ جَمْعِنَا هَذَا بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعَنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُومًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُومًا، وَلا تَدَعْ فِينَا وَلا مَعَنَا شَقِيًّا وَلا مَحْرُومًا.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلامَ وَاهْدِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْحَقِّ، وَأَجْمِعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الخَيْرِ، وَاكْسِرْ شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَاكْتُبِ السَّلامَ وَالأَمْنَ لِعِبادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ يَا ذَا الجَلالِ وَالإِكْرَامِ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ بِكَ نَستَجِيرُ، وَبِرَحْمَتِكَ نَستَغِيثُ أَلاَّ تَكِلَنَا إِلَى أَنفُسِنَا طَرفَةَ عَينٍ، وَلاَ أَدنَى مِنْ ذَلِكَ، وَأَصلِحْ لَنَا شَأْنَنَا كُلَّهُ يَا مُصلِحَ شَأْنِ الصَّالِحِينَ.

(١) سورة الأحزاب/ ٣٥.
(٢) سورة الأحزاب/ ٥٦.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعِزَّ سُلْطَانَنَا وَأَيِّدْهُ بِالْحَقِّ وَأَيِّدْ بِهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ العَالَمِينَ، اللَّهُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِ نِعمَتَكَ، وَأَيِّدْهُ بِنُورِ حِكْمَتِكَ، وَسَدِّدْهُ بِتَوفِيقِكَ، وَاحفَظْهُ بِعَينِ رِعَايَتِكَ.

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاء وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا في ثِمَارِنَا وَزُرُوعِنَا وكُلِّ أَرزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ.

رَبَّنَا آتِنَا في الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِكُلِّ مَنْ آمَنَ بِكَ، الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدُّعَاءِ.